وتعداد أهلها واذا رأى فلاحا مصريا هزأ به وظنه بهيما مع أن ذلك الفلاح العاري الصدر والرجلين هو عماد البلاد ومنه تتكون معظم الامة المصرية حتى أن بعض هؤلاء الشبان يظن أن الامة المصرية هي الفئة التي تجلس على القهاوي تدخن النرجيله وتلعب النرد والشطرنج والورق وتقرأ الجرائد وتتكلم في السياسية لكن مع ذلك فانا أبشر حضرتكم أن الوقت آخذ في التحول وأن بعض الشبان عرفوا واجب بلادهم وتولد عندهم حب العمل والنشاط اقتداء بأميرهم والناس على دين ملوكهم » اه

فنحث الكتبة على انشاء الروايات في هذا الموضوع المفيد وعسى أن يواصل مؤلفها الأديب الجرجي في هذا المضمار مع مراعاة حسن السبك وسلامة العبارة مع سلاستها التي هي فيها فانا اجدر المعنى الصحيح، بالاسلوب الفصيح، ونرجو أن يقبل القراء على روايته فينشطونه على متابعة العمل، فبالعمل يحقق كل أمل، اه من العدد السابع

الأدب الصحيح (*)

رغب الينا غير واحد ان نكتب في جريدتنا بعض نبذ في الاديبات يعنون بذلك ما عليه الجماهير من ان الادب هو عبارة عن الشعر والامثال والنوادر والافاكية والا فان معظم ما نشرناه في الجريدة هو من المباحث التي تنظر الى تهذيب النفوس وتحليتها بالفضائل، بعد تطهيرها من ادران الرذائل، وليس الادب الصحيح الا هذا فقد قال العلماء ان الادب ملكة تعصم من قامت به عما يشينه . ولا ريب ان اية رذيلة من الرذائل تشين

(*) فاتحة العدد الثامن الذي صدر في ١٩ ذي الحجة سنة ١٣١٥

الانسان اذا تلبس بها واقترف ماتدعو اليه من الافعال المنكرة. فان قيل ان القوم يريدون بالادب أدب اللسان وهذا التعريف انما هو لأدب النفس : أقول ان أدب النفس لا يكون كاملا الا بادب اللسان فالاول يستلزم في كماله الثاني وكان كلا القسمين متحققاً في فضلاء سلف الامة من أهل الصدر الاول

ولما وضعت العلوم والفنون باتساع عمران الامة وانفرد بكل نوع منها طائفة من الناس اختص الباحثون بادب النفس علما وتخلقاً باسم الصوفية وسمي علمهم التصوف . وخص الباحثون بادب اللسان باسم الادب وسمي مجموع فنونهم أو ثمرتها بعلم الادب على اطلاقه ولقد كان لكل من الفريقين حظ من أدب الفريق الآخر . لكن الاديبين كليهما معاً لم يكملا الا أفراد منهما . وانا نقتدي بالقوم في التسمية ونبحث في الادب بحثاً نبين به العلاقة بين أدب اللسان وأدب النفس والجنان لان سعادة الامة لا تتم الا بهما كليهما فنقول

كان الادب عند اسلافنا عبارة عما يحترز به عن الخطأ في كلام العرب قولاً وكتابة وأصوله عندهم اللغة والصرف والاشتقاق والنحو والمعاني والبيان والعروض والقوافي وقرض الشعر والانشاء والمحاضرات والتاريخ وربما أطلقوا الادب على ثمرة هذه الفنون وهي الاجادة في المنظوم والمنثور في كل موضوع ولا بد في هذا من وقوف الاديب على كل فن من الفنون المتداولة في عصره . ومن ثم قال الفيلسوف العربي ابن خلدون عند الكلام على علم الادب في مقدمته « هذا العلم لا موضوع له وانما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته وهي الاجادة في فني المنظوم والمنثور

على أساليب العرب ومناحيهم » الى ان قال « ثم انهم اذا أرادوا حد هذا الفن قالوا: الأدب هو حفظ اشعار العرب واخبارها والاخذ من كل علم بطرف: يريدون من علوم اللسان أو العلوم الشرعية من حيث متونها فقط وهي القرآن والحديث اذ لا مدخل لغير ذلك من العلوم في كلام العرب الا ما ذهب اليه المتأخرون عند كلفهم بصناعة البديع من التورية في اشعارهم وترسلهم بالاصطلاحات العلمية فاحتاج صاحب هذا الفن حينئذ الى معرفة اصطلاحات العلوم ليكون قائماً على فهمها » اه

وأمس الاصطلاحات العلمية بالادب اصطلاحات علم الاخلاق بل هو الجدير باسم علم الادب دون غيره لان أدب اللسان ثمرة من ثمرات أدب النفس وقد لاحظ أدباء العرب هذا في أيام نهضتهم العلمية لذلك ترى كتبهم الادبية ملأى بالكلام على الاخلاق والسجايا واعمال ذويها من حيث هي ممدوحة أو مذمومة (وان كانوا أفردوا للاخلاق مصنفات يبحثون بها عنها من حيث هي قوى نفسية تنشأ عنها الاعمال البدنية وهو المسمى بالفلسفة الادبية أو العملية أو علم تهذيب الاخلاق) . فمن لا يقدر على الكلام الفصيح في التنفير عن الرذائل والترغيب في الفضائل وفي سائر المواضيع المتعلقة بمنافع الامم ومصالحها قولا وكتابة لا يكون أديباً

ويستمد علم الادب اليوم من ينابيع لم تكن مفجرة في أرض أسلافنا من قبل ويحتاج في تحقيق نتيجته التي علمت الى فنون كثيرة لم تكن في العصور الاولى أو كانت لكن على غير هذه الحالة التي هي عليها اليوم كالتاريخ الذي كان مجموع قصص وأساطير لا تكاد تفيد غير التسلية والتفكه وهو اليوم علم من أفيد العلوم التي عليها مدار العمران

ذكر بعض المؤلفين في الادب ان الكاتب والشاعر يحتاجان في كمال صناعتهما (الادب) الى معرفة كل ما في العصر من الفنون والصنائع في الجملة ليقتدروا على مخاطبة كل صنف من الناس بما يناسب ذوقه ويتصرفوا في كل موضوع بما هو أمس بحالة أهله. نعم هذه سنة الذين خلوا من قبل، كانوا لا يمنحون لقب الاديب الا لمثل ابن العميد والصاحب ابن عباد وأبي اسحق الصابي وبديع الزمان والحريري . فمن ذا الذي يستحق هذا اللقب اليوم ؟ لا جرم ان من يأخذ هذا اللقب بحق لا بد ان يكون أعلم من هؤلاء وأكتب ، وأشعر وأخطب ، لان هذا العصر قد زخرت بحار فنونه ، وكثر التشعب في افانينه ، ومع هذا فانك ترى الدهماء لا يتحاشون اطلاق لقب الاديب على كل من يلفق كلمات موزونة ، أو يأتي بسجعات ولو كانت ملحونة ، بل ابتذل هذا اللقب الشريف حتى صار يلفظ به الى من لا لقب له من القاب الحكومة ، التي تشير الى رتب الشرف المعلومة ، وليس مستلا من سلالة الامراء ، أو من الصنف الذي يدعى ذووه بالعلماء ، وقد سجل هذا مع امثاله من «التشريفات» الكاذبة في جرائد التملق والنفاق ، وصحف المين والاختلاق ، حتى صار محب الصدق في حيرة ، ان أرضى نفسه اسخط غيره ، وحتى صار يمقت هذا اللقب ، من لديه رَس (طرف اوذرو) من علم الادب ، واجدر به ان يتقذره وهو مبذول للامة ، والجرائد تحلي من لا أدب عنده بلقب عالم أو علامة ، مما لم يكن يطلق الا على الراسخين في المعقول والمنقول كالشيرازي والتفتازاني واضرابهم . هذه حال أمتنا اليوم تركوا صدق اسلافهم للاوربيين واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو

غير ومن صدقهم النصح حملوا كلامه على الاهانة ونبذوه ظهريا ، وقد يستفيد الظنة المتنصح »

يحسب قوم ان إعطاء الالقاب الشريفة لغير أهلها ليس الا من جزئيات الكذب التي لا ينجم عنها ضرر، ولا يتأثرها خطر، وغفلوا عن كون منح ألقاب الفضل والكمال لغير مستحقها كمنح رتب الشرف والوسامات لغير الجدير بها ، وان كلا الامرين من أرزاء الامم التي تودي بحياتها الادبية والسياسية وتقذفها في مهاوي الجهل والضعف .

وليس هذا من موضوع كلامنا الآن فلنغض عنه الطرف ولنرسل اشعة نظره الى رياض الآداب لعله يجتني شيئاً من ارطابها وثمارها اليانعة وازاهيرها البهيجة المطرة يهديها لقوم كان لهم من الآداب النفسية واللسانية جنتان، فيهما من كل فاكهة زوجان ، فطوّحت بهم الطوائح، واجتاحت ثمارهم الجوائح، وصوحت رياضهم البوارح، وبدلوا بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط واثل وشيء من سدر قليل . يهديها لهم لعلها تبعث هممهم الى احياء الموات ، واسترجاع ما فات ، واحتذاء مثال الامم القوية ، التي جعلت آدابها معارج لمنافعها الصورية والمعنوية ، فيعود للعربية بهاؤها، وللامة مجدها وسناؤها، في ظل مليكنا الاعظم، ونصير المعارف الاعصم، أيده الله تعالى، وزاده عظمة وجلالا .

لعمرك قد طفت المعاهد كلها ، واستسقيت وابلها وطلها ، فلم أر كلاما في الادب حكيما ، قد انتهج صاحبه صراطا مستقيما ، ونبه الناس على الطريقة المثلى ، وأرشدهم الى المرتبة الفضلى ، الا ما جاء في « العروة

الوثقى » التي لانفصام لتعاليمها تحت عنوان «نصيحة في الادب» منسوبة لحضرة الفاضل مولوي عبد الغفور شهباز بمدينة كلكاتا . وانا نوردها بنصها وهي:

«ليس الادب كما يظن بعض الناس مجموع قصص تتلى للفكاهة أو أساطير تنقل في المسامرات أو منظوم من القريض يمتاز بحسن الاستعارة ورقة التشبيه مع مراعاة المحسنات اللفظية والمعنوية من التورية والجناسات ونحوها من فنون البديع أو منشآت ورسائل تتضمن اطراء في المدح أو مغالاة في القدح فان جميع هذا بمجرده لا يتصل بمعنى من معاني الادب . وانما الادب في كل أمة هو الفن الذي يقصد به تهذيب عاداتها وتلطيف احساسها وتنبيهها الى خيرها لتجتلبه، والى ما يخشى من الشر فتجتنبه، فالادباء في الحقيقة هم ساسة اخلاق الامم بل هم أجنحتها تطير بهم الى ذروة فلاحها فانهم بما يلمون من طرق التفهيم يمكنهم ان يقربوا الى العقول ما يبعد عن ادراكها ويسهلوا على الاذهان مايعسر عليها النظر فيه ويعبروا عن المعنى الواحد بالطرق المختلفة فتستفيد منه العامة ولا تنكره الخاصة فيأخذون على الظالم ظلمه ويعظونه بسوء عواقب الظلم وينكرون على الفاجر فجوره ويحذرونه مغبة الفجور حتى يردوا كلا عن غيه بما يروضون من طبعه بدون ان يقولوا له انك ظالم أو فاجر. واذا رأوا في أمتهم عوائد يابا ها سليم الذوق أو وجدوا منها اخلاقا واعمالا لا تنطبق على شريعة الفضل وقوانين الشرع عمدوا الى تغيير العوائد وتطهير الاعراق وأخذوا في ذلك سبلا متنوعة في انشاآتهم تارة بالقصص والحكايات التي تمثل شناعة الرذيلة وبهاء الفضيلة وما آل اليه أمر

المتدنسين بالاولى وما ارتقى اليه حال المتحلين بالثانية . وتارة بقريض الشعر يخيلون فيه مايحرك الهمم ويبعث الافكار وينبه خواطر الكمال واحساسات الشرف الصحيح لا بما يوقظ الشهوة ويقوي الغرور ويخرج الانفس عن اطوارها . والاخذ به من وجهه والدخول اليه من بابه هو الذي صعدت به الهند الاولى الى أوج المجد وبلغ به العرب أقصى غايات الرفعة وهو الذي وصل بالامم الاوربية الى ماوصلوا اليه مما لا يخفى على ذي بصيرة . وانا لنأسف على ما نراه من ادباء المسلمين وشعرائهم فانهم يقصرون منشآتهم واشعارهم على ما يكوّن عند الصفات اما مذمومة أو محمودة ونسبتها الى شخص بربدون مدحه او ذمه ويحصرون رواياتهم في حكايات مضحكة وقصص هزلية وبعض تواريخ ماضية بدون ان يلاحظوا تأثير ما يكتبون وما ينقلون في افكار الامة واطوارها ورجاؤنا فيهم ان يسلكوا مسالك ادباء الامم المتقدمة أو المعاصرة لهم حتى يكون للامة الاسلامية نصيب من فوائد ذكائهم وفطنتهم وسعة بيانهم وطلاقة ألسنتهم وان يأخذوا في منشآتهم واشعارهم طريقاً ينهضون فيه الهمم الخوامد، ويحركون القلوب الجوامد، ويحيون مكارم الشيم، ويوردون الامة موارد سابقيها من الامم، واننا نرى بداية هذا المنهج الحميد في بلادنا ونسأل الله حسن ختامه» اه

ونحن ايضاً نقول ان بعض أهل بلادنا قد انتهج هذا المنهج كما أومأنا الى ذلك عند تشبيه حالتنا الادبية الحاضرة بجنتين ذواتي أكل خط (مر) وائل وشيء من سدر قليل فقد عنينا بالسدر القليل الذي هو من الثمار الطيبة بعض الافاضل من ذوي الادب الصحيح . وثمرات ادواحهم ظاهرة في جنات الجرائد والمصنفات الحديثة النافعة ومنها يعلم ان الترقي